ليس هناك عودة ...

مرصية بقلم اريك براوديك

ترجمة نعيم عطية

((هذه دعوة الى السلام))
((وصرخة قوية ضد الحروب))
ن . ع .

الشخصيات :

فيليب فوريستر
آن ، زوجته
جوديث } اولادهما
جيرالد }
رودى
الزمن ، ١٩٣٣

★

(المشهد غرفة الجلوس في بيت عائلة فوريستر . الغرفة مريحة يسودها وقار الطبقة المحافظة . في أقصى اليسار نافذة منخفضة عريضة تطل على حديقة لا تتبين الكثير من معالمها بسبب ظلمة المساء التي اخذت ترخي سدولها ، وذلك رغم ان النافذة مفتوحة على مصراعيها ، لتلطف من دفء تلك الامسية من أمسيات الصيف . هناك مدفأة الى اليمين يعلوها مصباح كهربائي يشع ضياء رقيقة خافتة . وفي أقصى المسرح بين المدفأة والنافذة منضدة صغيرة للزهور ، وعلى كل من جانبيها مقعد وثير. وعند حافة المسرح من الناحية اليسرى أريكة . وفي الركن الايسر القصي والى يسار النافذة منضدة صغيرة تعلوها على الحائط صورة هي ، على قدر مانتبينه ، صورة فتى في ريعان شبابه . والى كل من اليسار واليمين باب .

تسمع ، بينما يرفع الستار ، دقات ساعة قديمة من بعيد معلنة الثامنة مساء . وبينما يوشك رنين الدقة الاخيرة ان يتلاشى من اسماعنا ندخل آن الغرفة من اليمين . وهي سيدة صغيرة القد نحيلة العود مجللة بالسواد . تعبر المسرح أكيدة العزم ، كما لو كانت قد وضعت نصب عينيها هدفا محددا وعندما تصل الى المنضدة الصغيرة التي علقت أعلاها الصورة تقع انظارنا على شمعة طويلة ثبتت في شمعدان نحاسي من طراز قديم . تشعل آن عودا من الثقاب وتوقد الشمعة التي يومض ضوؤها بسرعة فتبدو الصورة أكثر وضوحا . لقد كنا على حق ، فهي لفتى في ريعان شبابه ، يرتدي زي الضباط . ويطل علينا ، وقد ارتسمت الابتسامة على شفتيه . ويبدو بوضوح ان هذه الصورة ذات مغزى هام . ويؤكد مسلك آن حدسنا بأنها لاتتصرف عبثا ، فهي انما تقصد الى اداء بعض الشعائر امام الصورة . تتراجع آن قليلا ، وتتطلع الى الصورة بنظرات عميقة لحظة او لحظتين) .

آن : (في همس) انا لم انسك ، يارودي .

(تطرد من بالها خاطرا ما الم بها ، وتستدير في اللحظة التي يدخل فيها فيليب الغرفة من نفس الباب الذي سبق ان دخلت منه . يحمل فيليب في يده صندوق ثقاب ، يبادر الى دسه في جيبه بحركة سريعة عندما يقع نظره على آن ، الا ان حركته هذه لاتخفى عليها ، على أي حال)

فيليب : آه ، ياعزيزتي ، اعتقدت انك ربما كنت في الحديقة ..

آن : ولذلك فقد جئت نيابة عني ؟ لقد كانت هذه لفتة رقيقة منك ، يا فيليب .

(يذرع الغرفة نحوها ويطوق كتفيها بذراعه)

فيليب : (متهللا) حسنا ، ياعزيزتي ؟

(يقفان برهة صامتين متأملين الصورة)

آن : (تحدث نفسها) لقد مضى عام آخر .

فيليب : (برقة) أترين كيف تمر الاعوام الان بأسرع مما كانت تمر به في اول الامر ؟

آن : أجل . كل عام اقصر مما مضى . يكاد يكون من الصعب تصور ان العالم كان بأسره منذ خمسة عشر عاما قد جن جنونه ، وانغمس في حرب قاسية لارحمة فيها .

فيليب : كانوا يقولون انها الحرب التي تضع نهاية لكل الحروب ، وتخلق عالما يليق بالابطال ان يحيوا فيه .

آن : ياللعجب ! وماذا عن أولئك الذين ... لم يعد ابطالهم ابدا؟

فيليب : كان يجب ان يدفع الثمن أحد ما . وكان من حسن حظنا ان رودى لم يكن ابننا الوحيد .

آن : أجل ، لم تكن التضحية بابن واحد بالشيء الكثير ... (في همس) ولكنها مع ذلك شيء كثير جدا . على انني أحس في بعض الاحيان الا جدوى ، ألا جدوى أطلاقا ، من ان ننجب الابناء لكي يذبحوا .... والبنات لكي يذرفن الدمع على اولئك الابناء ، وعلى أبناء الاخرين . احس بالرعب ... وبالمأساة ...

فيليب : لا تحزني ، ياعزيزتي .

آن : أوه ، لست حزينة ، يافيليب . ان الجرح الذي اصابني بفقد ابني البكر قد اندمل بعض الشيء مع الوقت . (تسكت ـ ثم تقول في حنان) كان سيبلغ الثالثة والثلاثين من عمره الان . وهي سن مبكرة .

فيليب : قد يكون هذا افضل مما لو كان قد عاد كسيحا مشوها ...

آن : لا ! لا !

فيليب : سامحيني . ولكن حتى لو كان قد عاد فان العالم بأسره لايوجد فيه اليوم مكان للجنود العائدين .

آن : بقدر ماكانوا على استعداد للتضحية ، بقدر ماطواهم النسيان، اجل ، ربما كنت على صواب ، يافيليب كل عام اوقد فيه هذا القنديل، أتبين شيئا فشيئا انه ربما كان الان في عالم افضل . ولقد مات من اجلي وأجلك ، ومن اجل جيرالد وجوديث . وهل هناك ماترومه أم أنبل من ذلك ؟

فيليب : لقد تحملت الصدمة بشجاعة دائما . منذ ذلك اليوم

الذي ورد فيه التقرير باعتباره ... في عداد الجرحى المفقودين .

آن : الشجاعة عادة أسهل السبل . انني احب ان اتخيله راقدا في مقابر الشهداء مكرما ومأسوفا عليه كجندي مجهول ، مجهول من الجميع باستثنائي .

فيليب : تود كل أم ان تصدق ذلك عن فقيدها .

آن : بل تؤمن كل أم بذلك .

فيليب : أجل ، أجل، بالطبع .

آن : ما كانت تقع حرب لو كان الرجال هم الذين يلدون الاولاد .

فيليب : أخشى ان تقع الحرب دائما . فلنبتهل الى الله الا يطيل في أعمارنا حتى نرى الحرب القادمة .

آن : قطعا لن تكون هناك حرب قادمة .

فيليب : في وقتنا هذا ، آمل ذلك . ولكن لايجب ان نغمض اعيننا عن الاحتمالات .

آن : ماذا تعني ، يافيليب ؟ انا اقرأ الجرائد نادرا الان .

فيليب : لاأظن ان الخطر جديفي هذه اللحظة ، فالعالم ليس مستعدا لهـا . ولكن في كل مكان قلق وشغب . متاعب في الشرق الاقصى ، سحب العاصفة تتلبد في سماء اوروبا ، مناقشات حول ديون الحرب ، وجيوش من العاطلين في كل مكان .

آن : يا للمساكين !

فيليب : بعضهم مساكين ، بلا شك . ولكن من الصعب تبين المساكين الحقيقيين . فالعناصر الشريرة منتشرة في كل مكان . والرجال في هذه الايام لايريدون العمل . وقد امتلأت عقولهم بدعايات مثيري الاضرابات والرجل الذي في حاجة الى المساعدة حقا لايطلبها ابدا . انت امرأة ، ياعزيزتي ، ولذلك فان فطرتك تجعل قلبك يلين لهؤلاء الناس ولكن يجب ان نواجههم بقلوب صلبة اذا اردنا ان نشق طريقنا في الحياة .

آن : ان هذا يبدو وحشيا .

فيليب : ليس ذلك وحشيا ، بل هو ضروري .

آن : (واهنة العزم) لعلك على حق ، يافيليب .

فيليب : على حق ؟أنا متأكد انني على حق، ياعزيزتي . الا ألمس ذلك في مصنعي ؟ (لحظة صمت) . لقد عمدوا الى الاضراب هذا الصباح. أكثريتهم الغالبة .

آن : انك لم تخبرني بهذا الامر ، يافيليب !.

فيليب : لاشيء على الاطلاق . مجرد حالة تذمر أثارها بعض المتطرفين . يطالبون بزيادة الاجور . هكذا يقولون . ولكنهم يتقاضون أعلى الاجور في البلد ، وهم يعرفون ذلك ... أغلبهم . اجل ، انا احاربهم ولا اعطف على مطالبهم .

آن : يافيليب ، بعض هؤلاء الرجال حاربوا من اجلنا .

فيليب : وهؤلاء هم أسوأ المتذمرين . ان هؤلاء الرجال الذين عادوا من الحرب ليجدوا اماكنهم قد شغلت ، وليجدوا انفسهم غير مرغوب فيهم هم اصل المتاعب . فهم اناس ... شبعوا بافكار عفنة غثة ،وخابت آمالهم لان العالم الذي عادوا اليه لم يكن فردوسا جديدا ، بل كان نفس ذلك العالم القديم البالي .

آن : أجل ، لقد كانوا يتوقعون اشياء عظيمة ... ولكنهم صدموا صدمة مرة .

فيليب : لقد لزموا الهدوء بضع سنين ، ولكن صبرهم قد بدأ ينفد الان . وهذا التذمر يكتسحهم بسرعة ، وقريبا سيتولون مقاليد الامور. يجب ان نحاربهم . اننا نقف على حافة بركان يوشك ان ينفجر ...

آن : فيليب !

فيليب : آسف ، ياعزيزتي . لم اكن اقصد ازعاجك . ولكن مشاعري تغلي ، لان هؤلاء ، لعنة الله عليهم جميعا ، هم الرجال الذين عادوا ، بينما ان رودى ...

آن : اعرف ذلك ، يافيليب ، اعرف ذلك . لكن أيجب ان نحاربهم من اجل ذلك ؟

فيليب : (لايكاد يتمالك نفسه) هذا مايجعلني احاربهم .

آن : ولكن ، يافيليب ، ان النقمة لاتجدي نفعا . لقد حارب هؤلاء الرجال كما حارب رودى ... من اجل الحرية ، والحق ، والتسمك بمثل أعلى مجيد . ثم تقول الان ان عليك ان تحاربهم ، لماذا ؟ الانك غير قادر على النسيان ، ولا يعرف العزاء طريقة الى قلبك ؟ الانهم يثيرون في نفسك مرارة ذكرى أربع سنوات من الضراوة تريد ان تنساها؟ انها حياة جديدة بالنسبة للاحياء ... (في همس) وبالنسبة ..... للاموات ايضا .

فيليب : انك تنظرين الى الامور نظرة جد قاتمة الا انهم لو كانوا على قدر من رحابة العقل لعرفوا كيف يعودون أنفسهم على الحياة في عالم مابعد الحرب .

آن : كلا ، يافيليب ، لايقوى احد منهم على ذلك ـ فعلا . كيف يمكنك ان تتوقع من الجميع ان يفعلوا مثلنا وهم لم ينتظروا الاهوال التي كان عليهم مواجهتها ؟ هل يمكننا ان نلومهم على مآهم فيه من قلق واضطراب ؟ أنحكم عليهم لذلك السبب ؟

فيليب : انا اعرف شعورك ، يا آن ـ انا اعرف كيف تعطفين على الطبقات الدنيا ، ولكن صدقيني ان عطفك هذا لايصادف محلا تسع مرات كل عشر . انهم لايريدون عطفا ، بل يريدون مالا وقوة. وعندما سيحصلون على ذلك فانهم سيريدوننا نحن . اننا أشد اقترابا من الثورة مما يظنه اغلب الناس .

آن : انها مشكلة كبيرة بالنسبة لي ، يافيليب . واشعر الليلة ان ليس لي القوة على مواجهتها . اظن انني سأعود الى الحديقة ، حيث تعم السكينة والهدوء .

فيليب : سأذهب معك ، انا ايضا . انت تعلمين انه لايجب ان نسترجع الماضي كثيرا ، فلن يغير ذلك من الامر شيئا .

آن : (تعبة) كلا . ليس ثمة مايمكن ان يغير من ذلك ابدا .

(يخرجان ، ويبقى المسرح خاليا دقيقة او دقيقتين . ثم يدخل جيرالد وجوديث من اليسار . وهما يرتديان ملابس التنس ، وقد انهكهما اللعب . جيرالد ، وهو الاكبر سنا ، شاب حسن المظهر ، ولا يختلف كثيرا عن صاحب الصورة المعلقة في احدى اركان الحجرة . يقذف بمضربه الى الاريكة ، ويلقي بنفسه جالسا . اما جوديث فتضيء كل انوار الغرفة وتذهب الى المرآة الموضوعة فوق المدفأة لتنسق شعرها) .

جيرالد : لقد كانت مباراة طيبة ، تلك التي لعبناها في النهاية ياجودي . (يزفر) أنا في حاجة الى قدح من الشراب . (ينهض ويملأ لنفسه قدحا).

جوديث : (امام المرآة) لو عرف والدي انك شربت من الزجاجة التي يحتفظ بها لنفسه لاستشاط غضبا .

جيرالد : (جذلا) لم يدر بخلد العجوز ذلك ابدا . ولقد اسر لي منذ بضعة ايام انه يرتاب في ان الخادم واتسون يختلس بعض الشراب لنفسه .

تطلب ((الاداب))

في الجزائر من :

دار الكتاب

لصاحبها السيد خالد القرطبي

نهج كولو غلي رقم ٤ ـ بليدة ـ الجزائر

جوديث : وماذا قلت لـــه ؟

جيرالد : قلت له ان الارجح ان تكون خادمتنا الضامرة العـــود هي التي تفعل ذلك . فان لها نظرة نهمة شرهة ... أتريدين قدحا ؟

جوديث : لا شكرا . يمكنك ان تعطيني سيجارة فانا في حاجة الى مايريح اعصابي .

جيرالد : هاك العلبة .

(يقذف اليها بعلبة السجائر فتلتقطها) .

جوديث : شكرا .

جيرالد : (فجاة) ماهو تاريخ اليوم ؟

جوديث : السابع عشر من الشهر ، على مااعتقد . لـماذا ؟

جيرالد : (بهدوء) انه عيد ميلاد رودى .

جوديث : (تستدير وتنظر الى القنديل) هذا صحيح . لم الحـظ ذلك القنديل قـط .

(تذهب الى الصورة)

جيرالد : من حسن الحظ اننا تذكرنا . فربما ضايق والدتنـا نسياننا .

(ينهض ويقف الى جوارها) .

جوديث : (بعد برهة صمت) انك تشبهه كثيرا ، ياجيرالد .

جيرالد : حقا ؟ انه كان في الثامنة عشرة فقط في هذه الصورة .

جوديث : انا لااعيه أبدا كما تعلم .

جيرالد : وانا اذكره مجرد ذكرى طفيفة . لقد كنت في الخامسة عندما التحق بالجيش . ولا بد انك كنت في الثالثة .

جوديث : أليس هذا غريبا ؟

جيرالد : أجل .... (يحدقان في الصورة من جديد)

جوديث : جميل من والدتي ان تكون وفية لذكراه كل عام ، الا تعتقد ذلـك ؟

جيرالد : (بغير يقين) اعتقد هذا . يبدو الامر كما لو كانت تتكـأ بذلك جرحـا قديمـا .

جوديث : ولكننا ، ياجيري ، لايمكننا ان ندرك احساسها حـق الادراك . فنحن بمثابة جيل ثان . لقد شب هو ونما قبل ان نكون نحـن قـد ولدنـا .

جيرالد : اجل ، اعلم ذلك ، ولكن الا تظنين انها تؤلم بذلك نفسهـا بلا داع ؟

جوديث ـ بعض النساء يستعذبن الالم . أحسب انها تحس كمـا لو كانت تشارك بذلك في شيء وتتحمل نصيبها فيه . ان نصفها يعيش في الماضي ونحن الرابطة الوحيدة التي تربطها بالحاضر وتقيدها الى الواقـع .

جيرالد : مسكينة امنا العجوز . لقد صدمت صدمة شديدة . ولكن يبدو انها قد بدأت تفيق من صدمتها . الا تعتقدين ذلك ؟ ان نارهـا اخذت تبرد على مر الايام. فقط لو أبطلت عادة ايقاد القنديل كل عام ..

جوديث : انها تجلب اليها نوعا من العزاء ، كثيرا من العزاء ، علـى ماأظن . انها لاتحتمل ان تتصور ان رودى قد طواه النسيان .

جيرالد : كلا ، اعتقد انها لاتحتمل ذلك .

جوديث : اعتقد انها لفتة جميلة منها .

جيرالد : (بطلاقة) حسنا ، لو نشبت حرب اخرى فمن المحتمـل ان يكون هناك قنديل اخر موقد ، هذا كل مافي الامر .

جوديث : (مصدومة) جيرالد !

جيرالد : آسف ، أيتها الفتاة العجوز . لم اقصد في الواقع ان اكون فظا ، ولكن رودى لايعني في نظرنا شيئا فعلا ، وعلى الرغم مـن ذلك فانه لازال يعني في نظرنا الشيء الكثير . ربما اكون غيورا .

جوديث : لن تكون هناك حرب اخرى .

جيرالد : هذا ماتقوله نساء اخريات في بلاد اخرى . هذا ماكـن يقلنه جيلا بعد جيل . ولكن ماجدوى ذلك ؟ تقوم في رأس سياسي مأفون افكار اكبر منه بكثير ، وقبل ان نعرف اين نحن ، يرسل الابن الى الحدود ليقتل شابا بريئا اخر ، لاذنب له الا انه ولدمصادفة في بلد اخـر . ذلك هو ما يسمونه سير الحضارة . الحضارة ! يا الهي ! (يصمت برهة وقد جرفته افكاره . ثم يرشف رشفة سريعة من قدحه ، ويبتسم) هذه الخطبة للسيد جيرالد فوريستر .

جوديث : امر غريب ، اليس كذلك ؟

جيرالد : في منتهى السخف ، اذا ماسألتني رأيي . ولكني اذا ما نشبت حرب اخرى سألتحق بالطيران . وهكذا اما ان أحيا واما ان اموت . وبذلك لن يكون هناك انصاف حلول بالنسبة لي .

جوديث : لاتكن سقيم الافكار الى هذا الحد .

جيرالد : ليس هذا سقما في الافكار . وعلى أي حال فقد تفريني أمي بأن التحق بالكشافة بدلا من ذلك .

جوديث : مدهش ! هل ستسمح لي بان استعمل نفيرك في بعـض الاحيان ؟

جيرالد : انه ليس نفيرا ، أيتها الحمارة ، انه بوق ... لعمـري أين أبي وأمي الان ؟

جوديث : يحتمل ان يكونا في الحديقة . من الافضل عدم ازعاجهما.

جيرالد : كلا ، وأريد ان اقول لك شيئا ، ياجودي .

جوديث : مـاذا ؟

جيرالد : لاتثقلي على والدي . اعني في طلب المصروف . فانـه غارق في الهموم هذه الايـام .

جوديث : كيف ؟

جيرالد : ذلك الاضراب في المصنع . انه لم يكن يكسب شيئـا يستحق الذكر من قبل ، والان هو يخسر نقوده ، كما تعلمين . وهـو لايريد ان يرضخ لمطالب المضربين .

جوديث : انه عجوز صلب الرأي ، أليس كذلك ؟

جيرالد : اجل انه يناصب العمال العداء ، ويصفهم بالثوريين . وعلى الاخص الرجال الذين عادوا من الحرب .

جوديث : ما السبب ، ياترى ؟

جيرالد : لا ادري . لعلها مجرد نزوة غريبة تملكته .

جوديث : كنت اظن انه سيوليهم عطفه بسبب رودى .

جيرالد : ربما انه يناصبهم العداء بسببه . كل مااعرفه هو انـه يردد عنهم انهم يريدون ان يعيشوا بقية اعمارهم على حساب البلد لمجرد انهم خاضوا الحرب مرة في سبيله .

جوديث : ولكن هل هذا هراء ؟

جيرالد : يمكن ان اقول انني متفق معه ولكن ليس على طول الخط، كما تعلمين . انا لااعني افراد الطبقة المقتدرة الذين عادوا فوجـدوا المستوى اللائق بهم ، ولكني اعني جمهرة الطبقة العاملة . انها قلقة ، ولا يستقر لها قرار ..

دراسـات ادبيـة

من منشورات دار الاداب

نزار قباني شاعرا وانسانا	لمحيي الدين صبحي
قضايا جديدة في ادبنا الحديث	للدكتور محمد مندور
في أزمة الثقـافة المصرية	لرجـاء النقـاش

جوديث : يالهم من مساكين ! انا في صفهم ، الى النهاية .
جيرالد : من الافضل الا تدعي والدي يسمعك تقولين هذا . وكفى .
جوديث : لن أدعه ، لا تقلق .
جيرالد : لقد عمل رودى ورفاقه الكثير من اجلنا حقا .. ماقولك، سأذهب لاحضار السيارة الى الداخل ، هل تأتين معي ؟
جوديث : كلا ، فسأذهب لاغير ملابسي .
جيرالد : حسنا .

(يخـــرج)

جوديث : (متطلعة الى الصورة) يا رودي المسكين ، أنت افضل حالا حيث ترقد . ولقد قمت فعلا بعمل شيء . لقد علمتنا جميعاً أن الحرب عديمة الجدوى . (تلقي نظرة أخرى الى الصورة ، وتلتقط مضربهـــا، وتمضي خارجة من اليمين بعد لحظة أو لحظتين تبدو هيئة رودي خـارج النافذة . يتوقف عندها هنيهة ثم يجتازها داخلا الغرفة بخطوات بطيئة. ثم يجول في الحجرة بخطوات الواثق من مواقع أقدامه وثوقا لاشعوريا، يسترعي الانتباه . ويبدو ضامر الوجه ، أشعث اللحية ، جامد القسمات. يرتدي حلة زرقاء رثة ، ويطوق رقبته وشاح أبيض ملطخ . يخطو بضع خطوات بطيئة الى وسط المسرح ، ثم يتوقف واضعا يده على جبينه في وهن ، كما لو كان يحاول أن يتذكر شيئا . تعود جوديث داخلة من اليمين، وتلتقط معطفها من على ظهر أحد المقاعد . وعندما تستدير خارجة تلمح رودي لاول مرة ، فتخطو نحو بضع خطوات) .

جوديث : هل تسمح ان تخبرني ماذا تفعل هنا ؟
رودي : يجب أن تعذريني ـ فقد نسيت.
جوديث : نسيت ؟ ماذا تعني ؟
رودي : ما أجمل صوتك .
جوديث : ألا ترى أنك قد بدأت تتمادى ؟
رودي : فاتني ان اخبرك ان صوتك هو وسيلتي الوحيدة للتعـرف عليك . فانا أعمى (يعلن عن ذلك بلهجة مجردة عن التذمر ، وبطـريقة جذلة ، كما لو كان يقرر حقيقة واقعة ليس الا . تقبل نحوه جوديـث مشفقة) .

جوديث : أعمى ؟ أوه ، ولكن بربك ما الذي تفعله هنا ؟
رودي : هذا ما أحاول أن أتذكره . لقد كنت مارا في الطريق ثم .. ثم اختلط علي الامر ... (بينما يحاول التذكر) أجل ، حديقة ... يفوح منها عبير الزهور ، وصوت سيدة ، جعلاني أستعيد ذكرى شيء يتعـذر علي تفسيره ، و ... و ....
جوديث : هل ينتابك ذلك دائما ؟
رودي : كلا ، أوه ، كلا . اني عادة أتذكر جيدا. ولكني أشعر في بعض الاحيان كأن الذكريات تتزاحم في رأسي ثم اذا بسهم متقد يخترق عقلي ، فلا أتبين ... آسف على تطفلي ، يجب أن أرحل .
(يستدير مبتعدا) .
جوديث : ولكن مهلك ! (يستدير نحوها من جديد) هل ... هـل أنت متأكد أنك بخير ؟ دعني أحضر لك شيئا .
رودي : اني أشم رائحة شمع . لماذا توقدون قنديلا في هذا البيت؟ (يتوجه نحوه بلا شعور) أهو من أجل ذكرى ميت ؟
جوديث : (في غير ما حزن) أجل ، ولكن يحسن ألا نتكلم عن هذا الموضوع . (وقد أولته ظهرها) هل تريد قدحا من الشراب ؟
رودي : شكرا .
(يمضي رودي الى المنضدة بينما تصب جوديث الشراب ، ويتناول القنديل ويدنيه من وجهه . وفي هذه اللحظة تستدير جوديث نحـوه ممسكة بالقدح في يدها . وعندما ترى وجهه في ضوء القنديل يسقـط القدح من يدها ، وتفلت منها صرخة) .

جوديث : أوه أوه ؟ دع القنديل مكانه . لقد اعتقدت ...
رودي : هل أزعجتك ؟
جوديث : لا تلمس ذلك . انه قنديل رودي .
رودي : (في لهجة غريبة) معذرة . لقد خيل لي أنه قنديلي أنا.

صدر حديثا

تأملات وجودية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

- لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل
- خواطر ويوميات تشتعل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .
- مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلكة الجفاف الاكاديمي .
- كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب

جوديث : فنديلك أنت ؟

(تأخذ الفنديل من يده وترده الى مكانه)

رودي : أجل .. يـ ... يبدو أنني أتذكر الان ...شيئا قليلا .. اعذريني مرة أخرى ، فانا لا اشعر أنني على ما يرام الليلة . هناك شـيء يجثم على عقلي ـ شيء يضيق خناقه علي ويطن في جنبات رأسي بـلا انقطاع ، كما لو كان ألف شيطان يتزاحم على الدخول من باب ضيق .. ورغم ذلك فانا احس براحة غريبة .

جوديث : اجلس ، واشرب هذا .

رودي : أشكرك . هذا كرم منك . أشعر بتحسن كبير ، ويجب أن أرحل الان .

جوديث : ولكن ... أفضل أن تستريح برهة .

رودي : ان الازمة قد بدأت تزول عني . (يمسح جبينه بكفه، ويهز رأسه) . اجل ، أنا بخير الان . (ينهض واقفا) شكرا على طيبتك ، يا سيدتي ذات الصوت الحنون.

جوديث : ابق قليلا . أود أن اساعدك .حدثني عن نفسك ـ لـو لم يكن لديك مانع .

رودي : ليس هناك ما يستحق أن احدثك عنه . وانا لا اطـلب احسانا .

جوديث : هل فقدت ذاكرتك ؟

رودي : اني بخير الان . ولكن تنتابني من وقت لاخر نوبات يرخي فيها النسيان علي سدوله بضع لحظات . فلا تبين عادة ... ماذا افعل.

جوديث : وهل فقدت بصرك أيضا ؟ (في همس) أكان ذلك بسبب ـ الحرب ؟

رودي : أجل ، ولقد حدث لي ذلك منذ أمد بعيد ـ بعيد جدا ـ هكذا يقولون فانا لا اذكر من الامر شيئا .

جوديث : أنت لا تذكر ؟

رودي : أنا لا أذكر ما اذا كنت في وقت ما مبصرا ، ومع ذلك تلمع في مخيلتي ، في بعض الاحيان ، صور غريبة . ورغم أنني لا أقوى عـلى تذكر ما اذا كنت مبصرا في وقت من الاوقات الا أنه يكمن في اعماقي احساس بالمرئيات . ففي مخيلتي صورة مروج وأشجار.. ومياه جارية.. وضياء شمس .. وأولاد سعداء يمرحون . وفي بعض الاحيان يثيرني ، كعبير الزهور في حديقتكم الليلة ، فينطلق عقلي من عقاله نحو شيء لا أعرف كنهه . ثم اذا بي أنسى ما كنت فيه .

جوديث : ولكن ـ كيف كانت حالك قبل الحرب ؟

رودي : ان حياتي بدأت في حفرة من الطين ، وشيء يدور من حولي، شيء أخيروني فيما بعد أنه طلقات البنادق . لقد سمعت عن الامر كـله فيما بعد ، بالطبع . ولكنني غير قادر على أن أتذكر كيف وجدت هنـاك، وما هو الدور الذي كنت ألعبه . لقد أمضيت في المستشفى ردحا طويـلا من الوقت ، أذكر ذلك جيدا ـ وكل ما مر علي بعد ذلك أذكره تماما. أما قبل ذلك .. (يسكت ويمسح جبينه بيده مرة أخرى) أشعر ، أحيانا، أنني على وشك أن اكتشف أمرا جللا ، ثم فجأة يظلم كل شيء من حولي، وآخذ في التصرف ... كأنني في غيبوبة . وقد أحسست الليلة ان هناك شيئا ينتظرني عند نهاية الطريق .. ولكنني تبينت ، كشأني في كل مرة ، أني كنت واهما .

جوديث : ولكن ما من شك في أن الاطباء ...

رودي : انهم عجزوا عن عمل أي شيء لي . وقرروا في النهاية عدم لياقتي للخدمة بسبب عاهتي .

جوديث : ولكن ماذا تعمل الان ؟

رودي : تولت مؤسسة العميان العناية بأمري بعض الوقت. لاأعرف لماذا أبوح لك بكل ذلك ، الا انني أشعر بطيبتك تغمرني . ومن المريح أن يبوح المرء بمكنون صدره الى من يفهمه .

جوديث : ألم يكن لك أقارب تذهب اليهم بعد انهاء خدمتك العسكرية؟ وأهلك ....

رودي : لا أعرف . لا أذكر شيئا سابقا على فقدي لبصري .

جوديث : ولكن اسمك ؟ وفرقتك ؟

رودي : لم يكن هناك ما يمكن من التعرف على شخصيتي .. ولا حتى شارة ما . لقد تركت على أنني ميت ، وقد فهمت أنني كنت مضطرب العقل عندما أعادوني من الميدان وبالطبع كانوا يتوقعون مني أن أعرف من أنا.

جوديث : وماذا تفعل الان ؟ كيف تعيش ؟

رودي : أصنع سلالا . وكانت الامور في أول الامر على ما يـرام، وكان الناس طيبين . ولكن منذ عهد قريب.. بسبب حاله التذمر السائدة، والرغبة العامة في نسيان الحرب وهمومها ... أصبحت الامور اكثـر تعقيدا .

جوديث : هل تقيم قريبا من هنا ؟

رودي : كلا ، أوه ، كلا . أنا لا أستقر في مكان منذ أمد طويل . يبدو أنني مدفوع الى الترحال الى الابد . ففي على الدوام ذلك الحافز على البحث عن شيء .. ومن المتعذر أن أصف لك ما اشعر به من جراء ذلـك .

جوديث : أنا جد آسفة عليك . بودي أن أساعدك .

رودي : هذا بدافع من طيبتك، أعرف ذلك . ولكنني حتى بالنسبة لك أعتبر في هذه اللحظة عبئا ثقيلا وددت لو انك تخلصت منه. أنا أعرف حقيقة ما تشعرين به ، فقد علمتني اعوام الظلام الطويلة أن أفهم ما تعنيه كل نبرة من نبرات الصوت الانساني . انها تعني الرثاء أحيانا ، والشفقة أحيانا ، والغلظة أحيانا ، ولكن عندما أرحل يجيء دائما الشعور بالراحة. فانا شيء غير مرغوب فيه .. اينما حللت .. أعرف ذلك . لقد اعتدت عليه . انا عبء ثقيل وكم مهمل في عالم فرغ من الحرب. ميت في نظر الجميع رغم أنني لا اشعر أنني قد مت بعد .

جوديث : لو أمكنك فقط ان تتذكر شيئا من ماضيك .

رودي : (في صوت فاقد النبرات) في بعض الاحيان . أفقد حتى الرغبة في أن أتذكر ذلك الماضي .

جوديث : (برقة) ولا حتى أن تتذكر أمك ؟

رودي : كلا ، ولا حتى أمي . فسأكون حتى بالنسبة لها بعـد كل هذه السنين عبئا ثقيلا . ربما تكون قد اعتادت الحياة بدوني ، كما اعتدت أنا حياتي. وفي الحق اني قانع ، وعودت نفسي على ألا أشكو . لقـد تعلمت أن أومن بأنه قد .. قد تكون هناك حكمة ما .. من وراء كل ذلك. فعلى المرء أن يؤمن بشيء على أي حال . أما عن حديثي معك الليلة فقد أدخل العزاء الى قلبي. واذا تمنيت شيئا فهو أن تكون لي أخت مثلك. أرجو .. ألا يضايقك قولي هذا .

جوديث : كلا ، ولم يضايقني ؟ أواثق من أن تشعر بأنك أحسن حالا الان ؟

رودي : (ناهضا) الى حد بعيد .

جوديث : (وقد خطر لها خاطر) هل أنت جائع ؟

رودي : أنا جائع دائما . جائع الى ما هو أكثر من الطعام. (يحادث نفسه أكثر مما يحادث جوديث . وتكسو المرارة صوته) جائع الى رؤية بيت ذي حديقة يكسوها الربيع ، جائع الى حب امرأة يخفق لجمالهـا قلبي ، جائع الى الحياة ، بل جائع الى الموت ، ولكنني جائع على الاخص الى قليل من الفهم الانساني .

جوديث : (برقة) أنا شديدة ، شديدة الاسف عليك .

رودي : (بضحكة خفيفة لا أثر للمرارة فيها) كدت أنسى نفسي في هذه اللحظة . ولم أقصد أن استدر عطفك .

جوديث : دعني أحضر لك شيئا من الطعام قبل رحيلك .

رودي : أنت تعتقدين انني جئت هنا طلبا للاحسان . (هامسا الى نفسه) ولكن الحق أنني في مسيس الحاجة الى وجبة من الطعام ..

جوديث : (ناهضة) سأرى ماذا يمكنني أن أعد لك . اجلس هنـا الى أن أعود . (تقوده الى الاريكة ، وتهيء له جلسة مريحة بين الوسائد)

رودي : أنت في منتهى اللطف .

جوديث : (بابتسامة) ليس دائما . ولكنني أحس الى حد ما بأنني قد عرفتك منذ زمن بعيد .

رودي : أشكرك ... على ذلك .

(تتأمله جوديث برهة ثم تخرج من اليمين ، بعد أن تخفت اضواء الغرفة . يسند رودي رأسه ، بعد انصرافها الى ظهر الاريكة ، ويمرر بيده على جبينه) .

رودي : شيء يدق في عقلي من جديد ... ألن يتوقف أبدا ... ما الذي يجرفني الليلة ... بهذه السرعة ... فقط لو امكنني أن أتذكر، لقد كانت تقول ... كلا ، كلا ، انه نفس الشيء دائما ..... طرقات وطرقات ... أنا في غاية التعب ، في غاية التعب من التفكير هباء . النتيجة دائما لا شيء بدلا من ان يكون هناك شيء يخلصني .

(يرقد على الاريكة ، ويقبع ساكنا برهة . ثم ينئن ويتقلب متوجعا)

رودي : طـــرقات ، طرقات ... بنادق تـدوي ... طرقات ... طرقات .... طرقات ....

(يخفت صوته رويدا رويدا ، ويغيب في سبات عميق . تـدق الساعة القديمة من بعيد ، ويعم السكون من جديد . ثم يهب من سباته مذعـورا)

رودي : ماذا تقول ؟ اقتحموا المكان ؟ كلا ، لعنة الله عليهم كـــلا ! سنوقفهم عند حدهم في الحال . أنا خارج ... أماه .... أماه ... انهما تؤلماني ... عيناي .... أماه ، دعيني آخذ جودي خلفي عـــلى الدراجة . يجب أن أركبها الدراجة قليلا ، انها تحب ركوب الدراجـــة جدا ... وجه سعيد باسم ... يا الهي ، تلك البنادق .. هل تسمعها؟ ... لن نوقفهم . انهم يهوون علينا بطرقاتـهم .... طرقـــات ... طرقـات .....

(يخفت صوته بالتدريج من جديد . بينما يدخل جيرالد ، وهـو يصفر منشرحا . واذ يعبر الغرفة الى المدفأة يقع نظره على رودي ممددا على الاريكة) .

جيرالد : (متوقفا) ما الذي (يذهب الى رودي ويهزه) أفق ، يـا هـذا !

ماذا تفعل هنا بحق الشيطان ؟

(ينهض رودي ببطء ، واضعا يده على رأسه)

رودي : أنا ... أنا ... (يجيل حدقتيه المظلمتين من حوله في ذهول ، محاولا ان يتجاوب مع الصوت الجديد) لا بـد انني قـد غرقت في النوم ، فالمكان مريح للغاية .

جيرالد : حسنا ، والله ! ومن الذي جاء بك الى هنا ؟

رودي : لقد جئت بنفسي . وجدت في الجرأة أن ....

جيرالد : وما الذي يجعلك بحق الشيطان تحدق في هكذا ؟

رودي : (بهدوء) أنا لم أكن أحدق فيك .

جيرالد : ربما تسمى هذه الحملقة شيئا آخر .

رودي : أجل ، فقدان البصر .

جيرالد : فقدان البصر ! هذا بديع ! (يفرق في الضحك ، ثم يخطر بباله ان ذلك قد يكون صحيحا) لعمري أتسخـر منـي ، أم أنت أعمى حقـا ؟

رودي : أنا أعمى حقا ، للاسف .

جيرالد : يا للحظ العاثر . أعني أن أقول أنني آسف . ولكنـــك تعلم أنه لاحق لك في الدخول هنا .

رودي : (ببساطة) كلا ، ليس لي أي حق هنا .

جيرالد : كيف دخلت ؟

رودي : من النافذة .

جيرالد : هل تتفضل بالانصراف من نفس الطريق ؟ خذ

(يخرج من جيبه ورقة من ذات العشرة شلنات ويعطيـه اياهـــا بخشونة) قد تنفعك هذه ...

رودي : انه منتهى الكرم منك ، ولكنني لا أشعر بأي ميل الـــى قبولهـا .

جيرالد : (وقد ساءه رفض رودي واللهجة التي رد بها عليه) ان أمرك لغريب ، يا هذا . وما ادراك ان الذي أقدمه لك نقود ؟

رودي : سمها الحاسة السادسة ، ان شئت ، بوسعي ايضـا أن أقول لك أنها ورقة من ذات العشرة شلنات .

جيرالد : (يتطلع الى الورقة المالية قبل أن يدسهـا في جيبـه) وكيف عرفت ذلك ؟

رودي : لان مبلغا أقل من ذلك هو مبلغ زهيد لا يليق .. وأكثر من ذلك اسراف لا مبرر له .

سأنصرف الان . لقد جعلتني السيدة الشابـة أكاد أنسى أنـني دخيل هنا .

جيرالد : ماذا تعني ؟ هل قابلت أختي ...

رودي : لقد خمنت أنها قد تكون أختك .

جيرالد : لعلها أشفقت عليك .

رودي : لم تكن شفقة ما أحسته نحوي . لقد تعلمت كيف أتعرف على الشفقة . ولو كانت مجرد شفقة فحسب لما كنت قد بقيت لحظة . لقد كان سلوكها بوازع من طبيعتها الطيبة ..

جيرالد : أجل ، هذه طبيعة جودي .

رودي : (هامسا) جودي ! اذن فهذا اسمها . ولكن بالله لمـاذا يتردد صدى هذا الاسم في جنبات رأسي الخاوية دائما ؟

جيرالد : لقد كان سلوكها معك رقيقا للغاية ولا شك . ولـــكن لا يمكنك البقاء هنا ، كما تعلم . اذا رآك والدي فسيقلب البيت رأسا على عقب . فلفرط ما خدعه الكثيرون فانه يطرد الآن اي سائل يدق بابه . وبغاية السرعة أيضا .

رودي : (تعبا) اذن ، فمن الافضل أن أرحل توا . كان بودي أن أكرر شكري لاختك من أجل ما أولتني من عناية .

جيرالد : لا تؤاخذني اذا قلت لك أن مستوى حديثك أعلى من ... حسنا ، انك تعرف ماذا أعني .

رودي : تماما ، فانا مجرد صانع سلال . لقد كنت صانع سلال منذ الوقت الذي وعيت فيه نفسي .

جيرالد : تبدو كما لو كنت قد تلقيت قسطا من الثقافة .

رودي : هذا ما أفهموني اياه . ولكنني لا أذكر شيئا عن ذلك .

جيرالد : (مظهرا اهتمامه رغما عنه) أمن مشوهي الحرب أنت ؟

رودي : أجـل .

جيرالد : أنا جد آسف لسماعي ذلك . ألا يمكن لرجال الحكومـة أن يفعلوا شيئا من أجلك ؟

رودي : فعلوا الشيء الكثير . ولكنهم يعتقدون ان علينا من الان فصاعدا ان نكون أهلا لان نرعى شؤوننا بأنفسنا . وكل الاخرين قـــد بدأوا يشعرون بالضجر منا .

جيرالد : لقد قتل أخي في الحرب . لا أظنك تعرفه .

رودي : لا أذكر شيئا ما عدا أنني في بعض الاحيان أسمع طلقات البنادق تدوي من حولي .

جيرالد : كان اسمه رودي فورستر . لقد كان بكباشيا في سلاح المدفعية . وكان هو أيضا في عنفوان شبابه . ألا يمكنك ان تتذكر شيئا عن الحرب على الاطلاق ؟

رودي : كلا ، لا يمكنني أن أتذكر .... شيئا على الاطلاق . (يمر بيده على جبينه من جديد) هناك شيء ما يدق في عقلي .. لا يمكنني أن أتذكر ، يختلط علي الامر عندما احاول . ها هي تعود من جديد .. الطرقات .... الطرقات . الا أنها أشد الحاحا الليلة . ستزول بعـد لحظة . (تسود لحظة صمت قصيرة) ها هي قد زالت . أنا أحسن حالا الان .

(تدخل جوديث)

جوديث : ما رأيك ؟ اذا أسرعت فهناك وجبة معدة لك في غرفـة الطعـام .

جيرالد : جودي ، هل تجردت من صوابك ؟ اذا وجد أبي هـــذا الشخص هنا ....

جوديث : أوه ، اسكت ، يا جيري . لا تكن على هذا القدر اللعين

من الكبرياء . (موجهة الحديث الى رودي) هيا ، تعال . (تقوده من ذراعه) .

جيرالد : مخلوق مسكين ، يستحق أن نفعل شيئاً من اجله . ولكن يا للازعاج . (يحشو جيرالد غليونه ـ شارد الفكر . وتعود جوديث) .

جوديث : سيكون على ما يرام هناك .

جيرالد : ألا تعتقدين ، يا جودي ، انك تتمادين في هذا الموضوع ؟

جوديث : لماذا ؟

جيرالد : حسنا ، انه لا يمكن أن يكون جد جائع ، فقد عرضت عليه عشرة شلنات ورفضها ، وفي اباء وشمم ايضا .

جوديث : ربما عرضتها بطريقة غير لائقة .

جيرالد : ماذا تعنين ؟ ليس هناك سوى طريقة واحدة لذلك . والله ان هؤلاء الناس مشكلة بحق . والاعمى يتميز بما يجعله موضعا للشفقة، فلا يمكن للمرء أن يسارع الى طرده .

جوديث : هذا ما جعلني أشعر أن علي أن أفعل شيئا . والله يعلم كم كان ما فعلته شيئا جد قليل . وسيرحل بمجرد ان يتناول وجبته لقد كان يتضور جوعا . كم يبدو هذا العالم ظالما عندما يصير رجل مثل ذلك الرجل ، حارب وضحى من أجل بلاده ، كما مهملا غير مرغوب فيه . ولا شك أن ذلك يسبب له شعورا عميقا بالمرارة والالم . هذا ما جعلني أحس أنني غير قادرة على طرده .

جيرالد : ان هذا الصنف من الناس يسبب القلق والازعاج .

جوديث : انا لا أشعر بأي ازعاج . بل بالعكس قد سرني أن فتح لي قلبه قليلا .

جيرالد : يبدو أنه فقد ذاكرته .

جوديث : أجل في الحرب .

جيرالد : وهو شاب مثقف ، أيضا .

جوديث : أجل ، وهذا ما يجعل من الامر مأساة أكبر . وعندما يلقى مثل هذا الرجل الى كومة المهملات فانه يتملكه شعور عميق بالوحدة والضياع .

جيرالد : بالله لماذا دخل بيتنا ذلك الرجل مفسدا علينا مساء طيبا ؟ لقد كنت أريد الاستمتاع بلعب البلياردو صافي البال . ألم يكن في مقدوره أن يدخل بيتا آخر غير بيتنا ؟

جوديث : (متطلعة الى الصورة) أشعر بشيء من السرور لانه لم يفعل .

جيرالد : حسنا ، سنمشي في جنازتك الليلة لو رآه والدي هنا . اني أحذرك .

جوديث : يجب أن نبعده عن طريق والدتي أيضا ، اذ قد يضايقها مرآه . وأنا أكره ما يذكرها بالحرب ، اذ أن أفكارها تعود الى الماضي بسرعة . وعلى الاخص الليلة .

جيرالد : أجل .

(تدخل آن قادمة من الحديقة)

آن : مرحبا بكما ، يا ولدي . لم أكن أعلم أنكما عدتما . أقضيتما وقتا طيبا في اللعب ؟

جيرالد : الى حد لا بأس به .

آن : الجو رطب بعض الشيء في الحديقة ، ففكرت أن أدخل ، واقرأ قليلا .

جوديث : أمتعبة أنت ، يا أماه ؟

آن : قليلا ، يا عزيزتي . وغير هادئة البال بعض الشيء ، أيضا . هذا اليوم يعيد الي بعض الذكريات .

جوديث : اعلم ذلك ، يا اماه . واني اسفة .

آن : لست بحاجة ياعزيزتي . فكل ما احس به الليلة هو انني غير مستقرة . احس الى حد ما كأن عزيزي رودي جد قريب مني .

جيرالد : تعلمين ،يا اماه ، انه لايجب ان تنظري الى الامور على هذا النحو ، فلن يفيدك ذلك شيئا ، ان واجبك ان تكوني مع الاحياء لا مع الاموات .

آن : ياعزيزي جيرالد ، لايمكن لغير ام ان تفهم حقيقة شعوري، فقط كونا ولدين طيبين ودعاني . اريد ان اخلو الى نفسي هنيهة .

جوديت : حسنا ، يا اماه . تعال ، ياجيري .

آن : اطفئي النور ، ياعزيزتي .

(تطفيء جوديث النور ، وتتركها وحيدة مع القنديل الخافت)

جيرالد : (لازال مترددا) اين والدي ؟

آن : انه لازال في الحديقة ، على ماأظن .

جيرالد : هل أسأله ان يحضر للجلوس معك ؟

آن : كلا ، شكرا ، انا على مايرام . (تبتسم لهما) .

جيرالد : لا احب يا اماه ، ان تبقي وحيدة ، هكذا . ان هذا يبدو مقبضا . دعيني اضيء الانوار .

آن : افضل الا تفعل ، ياعزيزي . ان الظلمة رفيقة ومريحة . ليس هناك ماهو مقبض ، كما تقول . انا سعيدة جدا .

جيرالد : سعيدة ؟

آن : اجل ، ياعزيزتي ، سعيدة . لقد حباني الله بكما مافيه الكفاية.

جيرالد : ورودي ؟

آن : ان رودى لم يعد يجلب الاحزان الان . ربما قليلا من التأثر في هذا اليوم بالذات . ولكنه على العموم ، يجلب السعادة والفخار . لقد استشهد ، انا اعلم ، على النحو الذي تمنيت ان يستشهد عليه، مجيدا ، في سبيل وطنه ، الابتسامة على شفتيه والعزة تلمح في عينيه. اني اذكر عينيه على الاخص عينين رماديتين مدققتين متأملتين . كلا يا عزيزي ، ليس هناك ما يوجب الحزن الان بل هناك فقط سكينة كبيرة تعم قلبي ، وامتنان عميق . حمدا على انهم اخذوه برمته بدلا من ان يتركوا حطامه ، كما قدر لكثيرين غيره ان يتركوا ، جسما ممزقا لانفع فيه ، وروحا مهلهلة مثخنة بالجراح . حمدا على انني رحمت من ذلك المنظر ، حمدا لله . انتما تريان بجلاء ، انني استطيع ان اتحدث عنه بلا حرج ، ياولدي ، انني لم اعد اخفي جرحي ، لقد اندمل . لذلك هيا ، انصرفا الى حال سبيلكما .

جوديث : يا لأمي الصغيرة المسكينة !

آن : (تربت على يدها) ياعزيزتي جودي .

جيرالد : (بصوت أجش) طابت ليلتك ، يا اماه .

آن : طابت ليلتكما ، ياعزيزي .

(يخرج جيرالد وجوديث . ثم تنهض آن من مقعدها ، بعد انصرافهما وتعاود الوقوف امام الصورة ، مولية ظهرها الى الباب الايمن . وبينما هي مستغرقة في وقفتها هذه تبدو هيئة رودى من غرفة الطعام وتسمع خطواته وهو يشق طريقه في العتمة بخطى وئيدة ثقيلة نحو النافذة . الصمت مطبق على المكان . عندما يكاد يلمس النافذة تتحدث آن الى الصورة وهي مازالت مولية اياه ظهرها) .

فندق نيو بالاس
ادارة : فتحي نوفل
وسط راق
خدمة ممتازة
مياه ساخنة
تليفونات بالغرف
جناح خاص
للعائلات
أسعار معتدلة
مصعدان حديثان

١٧ شارع سليمان الحلبي
(دوبريه سابقا) القاهرة
خلف سينما الوكن بعماد الدين
ت : ٤٥٩٣٦
س ت : ٧٩٧٩١
New Palace Hotel 17 Sh. Soliman el Halaby
Telephone 45936 - Cairo

آن : رودى ، يارودى الحبيب . مهما كانت الحياة بعد الموت ، أتمنى لك اطيب التمنيات في عيد ميلادك .

(وعندما يسمع رودى اسمه يتوقف مادا احدى ذراعيه في الظلام. ثم يتحرك من جديد خاطر ما في عقله المليد بالغيوم ، ولكنه من جديد يطرد ذلك الخاطر من رأسه وقد ارتسمت عليه امارات الحيرة والارتباك. ثم يتمالك نفسه غير مصدق ماخطر له ، ويمضي متحسساً طريقه عبر النافذة . وتمضي خطواته مبتعدة رويدا رويدا . وعندما يختفي شبحه ويتلاشى وقع اقدامه تستدير آن وتلقي بنفسها على الاريكة . ثم يدخل فيليب بعد برهة من اليسار يضيء الانوار وينهب الى النافذة المفتوحة، وبينما يهم باغلاقها واسدال ستائرها يلمح شبحا ما في الحديقة . يتوقف ثم يطل من النافذة موجها الكلام الى رودى الذي يكون قد مضى مبتعدا وكاد ان يختفي عن الانظار) .

فيليب : ماذا تفعل ، بحق الشيطان ، ياهذا ، متلصصا حول البيت؟ من انت ؟ ـ

رودى : (من بعيد) عابر سبيل انحرفت عن طريقي . لقد جذبني عبير زهورك .

فيليب : لااريد افاقين أدعياء في هذا المكان . ابتعد من هنا .

رودى : (من بعيد) ارجو معذرتي .

فيليب : فلتذهب اعذارك الى الشيطان ! ابتعد من هنا فورا .

(يقف فيليب متطلعا من النافذة برهة ، يراقب الشبح وهو يغيب عن الانظار ، ثم يعود الى زوجته) .

فيليب : ليست في وجوههم قطرة من الحياء ، أولئك الافاقين الخبثاء . جذبته عبير زهوري ! هل سمعت ابدا بمثل هذه الصفاقة ؟ لقد كدت امضي في اثره وامسك بتلابيبه . ولكن ما الجدوى من ان يضايق المرء نفسه بشخص تافه مثله .

آن (نصف ناهضة) فيليب ! هل ... لاحظت صوته ؟

فيليب : ليس تماما . انه يوحي بأنه ارقى ثقافة مما قد يتوقعه المرء من مظهره هذا شأن اولئك الذين هم اصل كل هذه المتاعب . صدقيني .

آن : ولكن ، يافيليب . الم يذكرك صوته بشخص ما ؟

فيليب : ليس صوته بالغريب عني تماما . لا استبعد ان يكون واحدا من عمال مصنعي . كان من الصعب علي ان اتعرف عليه في الظلمة .

آن : (يزول توترها فجأة) اجل ، من المحتمل ذلك . لقد كانت حماقة مني ، ولكني توهمت في اول الامر .. ان رودى مستحوذ على حواسي الليلة لدرجة .. لقد نسيت في هذه اللحظة ان علي انا ان اقطع الرحلة اليه ـ لا هو الي .

فيليب : انت مرهقة الاعصاب .

آن : كلا ، يافيليب . انها ليست اعصابي . ولكنني احس فعلا بالتعب الشديد . وفجأة ايضا اشعر بان السنين قد تراكمت علي ، وتقدم بي العمر . لقد كانت ولا شك حماقة مني ما توهمته بالنسبة لذلك الصوت .. انهم لايمكن ان يعودوا ، هل يمكنهم ان يعودوا ، يافيليب ؟ (في توسل وقلق) قل لي انهم لايمكن ان يعودوا . طمئنني !

فيليب : بالطبع، لايمكنهم ذلك ، ياعزيزتي . ليس هناك عودة . لاتجعلي وهما سخيفا يعكر صفوك .

آن (وقد سكنت) لا ، بالطبع ، لا . حقا ليس هناك عودة ، ولكن النساء اللاتي يعشن مع الماضي تتملكهن الاوهام السخيفة ، يافيليب . ولم يكن في مقدوري احتمالها الان .. بعد كل هذه السنين ... واذا محرومة منه .

فيليب : (برقة) ياعزيزتي !

آن : ... وفي اللحظة التي بدأت تداخلني فيها من جديد السكينة ... السكينة ....

(تسمع من بعيد دقات الساعة القديمة معلنة الوقت من جديد ، تسدل الستار)

القاهرة — ترجمة نعيم عطيه

الوميض والرجل !

بالامس
والريح نحيب ،
والشمس تغيب
في جرح الارض الدمويه ،
والرجل الذيب
اسنان تصطك كآلات التعذيب ،
بالامس
شدوني فوق صليب .
دقوا مسمارا في قلبي .
ألقوني في غيب الجب
فظننت بأني مت ، غرقت بقيعان الصمت
وفرطت كمسبحة فوق بلاط الاسفلت
لكن صوتي
أقوى من موتي .
صوتي كان
ضوءا تحمله الامواج الى الشطآن
فجرا تحضنه الانقاض
صوتي بارقة ، ايماض
اختض على عين السجان

*

يا رب الارض اذن ما زلت أعيش ،
وما زال بأعماقي صوت الانسان .
فأنا حي في كل الازمان
والقلب البارد مكتظ بأهازيج الوديان .
سأعود اذن من قبو القبر ،
كي أفتح شباكي للنسم الازهار ،
ولاسمع كركرة الامطار
تندس بأغوار الاشجار .
سأعود لاشعل في المحراب النار .
سأعود أصلي للرب ،
للعجب ،
تترامى في الافق الرحب .
فالقلب مليء بأهازيج الحب .
القلب غريق يا ربي
بالدفء ، وزخات السحب .

براغ — صادق الصائغ